٩- الصدق

اعلم يا بني ويا بنيتي أن الصدق ضد الكذب. وهو أحد وصفين اشتهر بهما النبي - ﷺ - قبل البعثة، والأمانة الصفة الثانية.

وهو" أصل المحمودات، وركن النبوات، ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرائع". (١)

والصدق لغة:" مطابقة الحكم للواقع .

وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك.

وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب.

قال القشيري: الصدق أن لا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب". (٢)

اعلم يا بني أنك مأمور بالصدق، وأن تلزم الصادقين، وأن تلزم معيتهم، مناصرًا لهم ومؤيدًا قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وهي معية مفروضة، على كل مؤمن ومؤمنة، لا خيار فيها. معية مطلقة لا تعرف وقتًا، ولا حدًا، ولا تميز بين صاحب وعدو، قريب أو بعيد، فالصدق له النصرة المطلقة ولو كان مع عدو بعيد.

---

(١)محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني / شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ بيروت دار الكتب العلمية ط الأولى١٩٩٠م ٤/ ٥٢٥.

(٢)التعريفات ص١٣٢ .

علامات الصادقين...

اعلم يا بني أن الله قد ذكر في كتابه بعضًا من صفاتهم فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥].

وقال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الحشر:٨].

فأعظم صور التصديق على الإطلاق هو التصديق بالله ورسوله، والمصدق بهما أفضل الصادقين على الإطلاق أيضًا.

وهو تصديق مقرون دائمًا أو متبوع بأعمال جسام كهجرة الديار، ومفارقة الأهل والأحباب رغبة في الله ورسوله، والفرار بالدين عن كل جاهل ومُفتن، وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، والاستعداد التام لنصرة الله ورسوله.

وأهل الصدق دائمًا يتعرضون للابتلاء والافتتان، حتى يتبين أمرهم ويمتازون عن غيرهم دون ريب أو مواربة، قال الله تعالى:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[التوبة: ٤٣].

وقال تعالى:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣].

وقال تعالى:﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[محمد:٢١].

ولا يُحْسب الصادق على أهل الصدق حتى يجتاز كل المحن والصعاب والفتن، بنفس مطمئنة صادقة.

"سئل الحارث المحاسبي عن علامة الصادق فقال: الصادق هو الذي لا يُبالي لو خرج كل قَدْر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم، وليس هذا من أخلاق الصديقين". (١)

من فوائد الصدق...

١ـ الصدق طريق الأبرار إلى الجنة.

٢ـ الصادقون هم أحباب الله المقربون.

٣ـ مدح الله أنبياءه وخَلّاصة بأنهم مصدقون وصادقون، ويوم القيامة ينفعهم صدقهم.

٤ـ الصادقون يحبهم الناس، ويثقون بهم، ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.

٥ـ الصادق يعتز بنفسه، ويرفع نفسه بين أفراد مجتمعه.

٦ـ الصدق يرفع الأعمال ويُعلي شأنها.

٧ـ الصدق دليل القوة وسمة الثقة بالنفس.

٨ ـ الصدق منجاة والكذب مهواة.

٩ـ الصدق في الحديث يجعله مؤثرًا في القلوب.

---

(١) الرسالة القشيرية ص٢١٣، ٢١٤

١٠ـ الصادق محشور مع النبيين والشهداء والصالحين". [١]

وإذا ثبتت للصدق هذه المنزلة السامية، وللصادقين هذا الفضل العظيم فاعلم يا بني أن" الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، لأنه يُنتج النميمة، والنميمة تُنتج البغضاء، والبغضاء تئول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

ولذلك قيل: من قل صدقه قل صديقه". [٢]

و" قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته.

وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان، الصبر والحلم توأمان، فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهن سبب كل فرقة، وأصل كل فساد". [٣]

إياك يا بني أن تستدعي الكذب لمزاح، أو للفت الأنظار بأخبار كاذبة، أو لتنتصر من عدو، أو لترفع محبوب.

أو تصف نفسك بما ليس فيها، لتُعلي قدرها، وترفع شأنها، أو لتجلب نفعًا زائفًا زائلًا، يذهب وتبقى عواقبه.

وإياك أن تستدعي الصدق في غير موضعه، فلا تذكر ـ ولو صادقًا

(١) نضرة النعيم ٦/ ٢٥٨٤.
(٢) أدب الدنيا والدين الماوردي ص٣٢٠.
(٣) المصدر السابق ص٣٢٢.

عيوب الآخرين، فتكشف خباياهم، وتفشي أسرارهم. ولا تذكر كلمة السوء لمن قيلت فيه ، لأنه في الهلكة كالكذب سواء.

واعلم يا بني أنّ في التعريض مندوحة ـ أي فسحة ومتسع ـ عن الكذب و" محل الجواز فيما يخلص من الظلم أو يحصل الحق، وأما استعمالها في عكس ذلك، من إبطال الحق أو تحصيل الباطل فلا يجوز". (١)

ومثاله قول إِسْحَاق : سَمِعْتُ أَنَسًا مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ فَقَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : هَدَأَ نَفَسُهُ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ وَظَنَّ أَنَّهَا صَادِقَةٌ". (٢)

ومن أمثلته في التخلص من الظلم أنه" لما هزم الحجاجُ عبد الرحمن بن الأشعث، وقتل أصحابه وأسر بعضهم، كتب إليه عبد الملك بن مروان أن يعرض الأسرى على السيف، فمن أقر بالكفر خلي سبيله، ومن أبى يقتله.

فأتى منهم بعامر الشعبي، ومطرّف بن عبد الله بن الشّخّير، وسعيد بن جبير.

فأما الشعبي ومطرف فذهبا إلى التعريض والكناية، ولم يصرحا بالكفر، فقبل كلاهمت وعفا عنهما. وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل.

وكان مما عَرَّض به الشعبي، فقال: أصلح الله الأمير، نبا (نبا المنزل: بَعُدَ) المنزل، وأحزن (أحزن: غلظ) بنا الجناب، واستحلسنا الخوف(استحلسنا الخوف: فارقناه) واكتحلنا السهر، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال:" صدق والله، ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا،

(١) الحافظ ابن حجر العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح البخاري / القاهرة دار الغد العربي ط الأولى ١٦/ ٤٩.

(٢) رواه البخاري باب: المعاريض مندوحة عن الكذب.

خليا عنه.

ثم قُدِّم مطرف بن عبد الله، فقال له الحجاج: أتقر على نفسك بالكفر؟ قال: إن من شق العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وأخاف المسلمين لجدير بالكفر. قال: خليا عنه.

ثم قُدِّم إليه سعيد بن جبير، فقال له: أتُقرُ على نفسك بالكفر؟، قال: ما كفرت بالله مذ آمنت به. قال: اضربوا عنقه.

ولما ولي الواثق وأقعد للناس أحمد بن دؤاد للمحنة في القرآن، ودعا إليه الفقهاء ،أتي فيهم بالحارث بن مسكين، فقيل له: أتشهد أنَّ القرآن مخلوق قال: أشهد أن التوراة والإنجيل، والزبور والقرآن، هذه الأربع مخلوقة. ومد أصابعه الأربع، فعرّض بها، وكنى عن خلق القرآن وخلص مهجته من القتل".[1]

من مضار الكذب...

١ـ الكذب وسيلة لدمار صاحبه، أمماً وأفراداً.

٢ـ الكذب قد يُؤدي بصاحبه إلى النار.

٣ـ الكذب سراب يُقرب البعيد ويُبعد القريب.

٤ـ الكذب يُذهب المروءة والجمال والبهاء.

٥ـ الكذاب لص يسرق العقل، كما يسرق اللص المال.

٦ـ الكاذب مُهان ذليل.

٧ـ الأمم التي كذّبت الرسل لاقت مصيرها من الدمار والهلاك.

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي / العقد الفريد / بيروت دار صادق ط الأولى ٢٠٠١م ٢/ ٣٩٤.

٨ـ يُرث فساد الدين والدنيا.

٩ـ دليل على خسة النفس ودناءتها.

١٠ـ احتقار الناس له وبعدهم عنه.

١١ـ يمقت نفسه بنفسه ويحتقرها".[١]

(١) نضرة النعيم١١/ ٥٤٣٠.